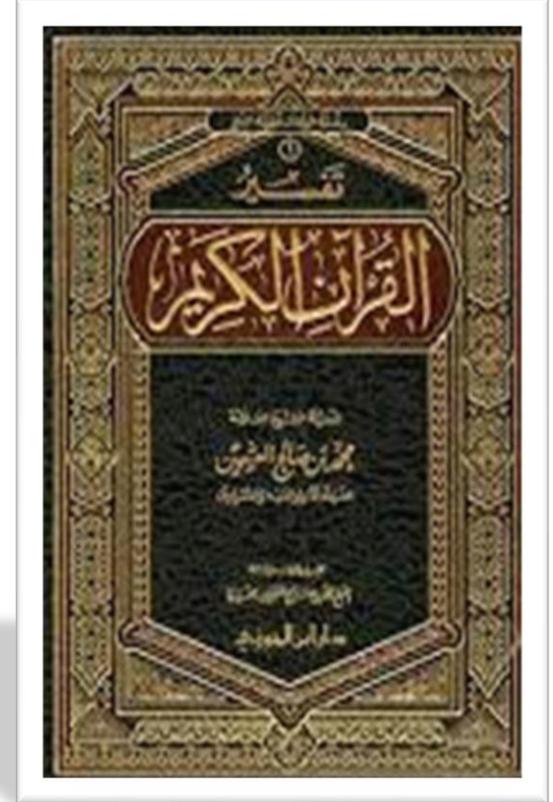


سلسلة
فوائد من تفسير القرآن العظيم

[سورة آل عمران]

مستقاة من كتاب تفسير القرآن الكريم
للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين
ط / دار ابن الجوزي



جمع واختيار
منى الشمري



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} آل عمران ٦:

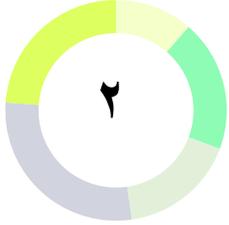
حكم الله تعالى ينقسم إلى قسمين:

١ - حكم كوني:

وهو ما قضاه الله على عباده كوناً، وهذا يخضع له كل أحد من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، ولا يستطيع أحد أن يهرب منه أبداً.

٢ - حكم شرعي:

وهو ما قضاه الله على عباده شرعاً، وهذا هو الذي اختلف فيه الناس، فمنهم كافر ومنهم مؤمن، منهم من خضع لهذا الحكم الشرعي وقام بما يجب عليه نحوه، ومنهم من استكبر عنه، وكذب به، ولم يرفع به رأساً



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} آل عمران: ٧

القرآن يصدق بعضه بعضاً.

والتعارض الذي يفهمه من قد يفهمه من الناس يكون للأسباب التالية:

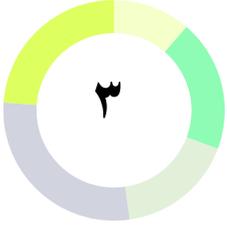
١ - إما لقصور في العلم.

٢ - أو قصور في الفهم.

٣ - أو تقصير في التدبر.

٤ - أو سوء في القصد، بحيث يظن أن القرآن يتعارض،

فإذا ظن هذا الظن لم يوفق للجمع بين النصوص، فيحرم الخير لأنه ظن ما لا يليق بالقرآن.

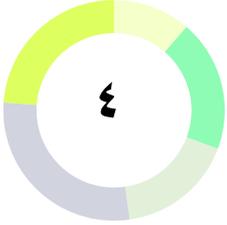


فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} آل عمران: ٧

آيات الصفات من المتشابهة في الحقيقة والكيفية التي هي عليها؛
لأن الإنسان بشر لا يمكن أن يدرك هذه الصفات العظيمة،
لكن في المعنى محكمة معلومة لا تخفى على كل أحد،
كلنا يعرف ما معنى العلم، كلنا يعرف ما معنى الاستواء، كلنا يعرف ما معنى الوجه، وما معنى اليد.

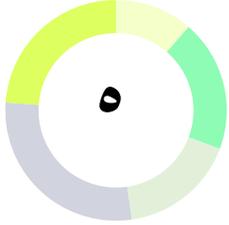
لهذا قال الإمام مالك رحمه الله قوله المشهور الذي روي عن شيخه أيضاً قال:
(الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} آل عمران: ٧

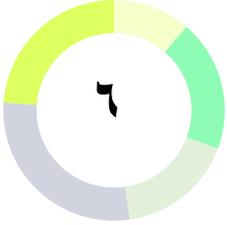
وجوب الرجوع إلى المحكم إزاء المتشابه؛ لقوله: {هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} يعني: مرجعه، وهذا لا يختص بالقرآن، بل حتى في السنة،
إذا وجدت أحاديث متشابهة وأحاديث واضحة محكمة، فالواجب رد المتشابه إلى المحكم ليكون الجميع محكماً،
سواء كان التشابه في مدلولات الألفاظ،
أو كان التشابه في ثبوت الخبر، وهذا الأخير يختص بالسنة،
لأن القرآن ليس فيه اشتباه بالنسبة إلى ثبوته



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا^ط وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} آل عمران: ٧

فضيلة الرسوخ في العلم، وهو الثبات فيه والتعمق فيه،
حتى نصل إلى جذوره؛ لقوله: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ}
و ضد الرسوخ في العلم السطحية في العلم،
وما أكثر السطحية اليوم فينا!!
أكثر الناس اليوم علومهم سطحية. ولهذا تجدهم إذا أَلَّفُوا أو كتبوا يكثرون من النقول،
بسبب أنه ليس عندهم حصيلة علمية



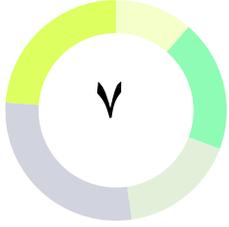
فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ النَّقَاتِ فِئَةٌ تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} آل عمران: ١٣

لا ألفة بين المؤمنين والكافرين؛ لقوله: {فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ} فمن حاول أن يجمع بين المؤمنين والكافرين فقد حاول الجمع بين النار والماء. وهذا شيء غير ممكن؛

لا يمكن لأولياء الله أن يكونوا متآلفين مع أعداء الله،
ومن حاول أن يؤلف بين أولياء الله وأعداء الله فمعنى ذلك أنه سوف يقضي على ولاية الله؛
لقول الله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: ٥١]



فوائد مستنبطة من تفسير سورة آل عمران

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} آل عمران: ١٤

حكمة الله عزَّ وجلَّ في ابتلاء الناس بتزيين حب الشهوات لهم في هذه الأمور السبعة.

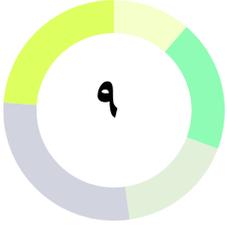
ووجه الحكمة: أنه لولا هذه الشهوات التي تنازع الإنسان في اتجاهه إلى ربه لم يكن للاختبار في الدين فائدة. فلو كان الإنسان لم يغرَس في قلبه أو في فطرته هذا الحب لم يكن في الابتلاء في الدين فائدة؛ لأن الانقياد إلى الدين إذا لم يكن له منازع يكون سهلاً ميسراً، ولهذا أول من يستجيب إلى الرسل الفقراء الذين -غالباً- حرموا من الدنيا، لأنه ليس لديهم شيء ينازعهم لا مال ولا رئاسة ولا غير ذلك



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{زِينِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} آل عمران: ١٤

قوة التعبير القرآني، وأنه أعلى أنواع الكلام في الكمال،
ولهذا قال: {حُبُّ الشَّهَوَاتِ} ولم يقل: حُبُّ النساء، أو حُبُّ البنين، أو حُبُّ القناطر المقنطرة،
بل قال: حُبُّ الشهوات من هذه الأشياء، فسَلَطَ الحب على الشهوات، لا على هذه الأشياء،
لأن هذه الأشياء حبها قد يكون محموداً



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} آل عمران: ١٤

التزهد في التعلق بهذه الأشياء؛ لقوله: {ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وكل ما كان للدنيا فلا ينبغي للإنسان أن يتبعه نفسه لأنه زائل، فلا تتبع نفسك شيئاً من الدنيا إلا شيئاً تستعين به على طاعة الله. وأنت سوف تنال منه ما يناله من أتبع نفسه متاع الحياة الدنيا للدنيا



فوائد مستنبطة من تفسير سورة آل عمران

{الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} آل عمران: ١٦

قوله: {فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}:

الذنوب: هي المعاصي، وهي إما كبائر، وإما دون ذلك وهي الصغائر، وكلها تحتاج إلى مغفرة. والصغائر إما أن تكفر بالحسنات أو بالتوبة، فإذا كفرت بالحسنات فإنها تمحى فقط، ولا تبدل بحسنات، وإذا كفرت بتوبة أبدلت بحسنات، كما قال تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤]



{الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} آل عمران: ١٦

ذكر العلماء أسباب مغفرة الذنب فبلغت نحو عشرة أسباب؛

منها: أن يوفّق الإنسان للتوبة، فإن تاب الإنسان من الذنب، وقاه الله تعالى عقاب ذلك الذنب كما قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر: ٥٣].
ومنها الأعمال الصالحة، والصدقة، ودعاء المؤمنين، ومشية الله عز وجل
كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]
وغير ذلك.



{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} آل عمران: ١٩

ربما توهم بعض العامة أن اختلاف هذه الأديان كاختلاف المذاهب الإسلامية، يعني: كاختلاف مذهب الشافعي، ومالك، والإمام أحمد، وأبي حنيفة، وهذا خطأ عظيم؛ لأنه من زعم أن هناك ديناً قائماً بعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر، فإن دينه نسخ جميع الأديان، يقول الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

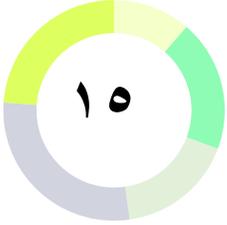
{وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} آل عمران: ١٩

الإشارة إلى أنه يجب على الإنسان إذا خالفه غيره، ألا يتناول عليه،
وألا يقصد بسوق الأدلة المؤيدة لقوله البغي على غيره، والتناول عليه،
بل يقصد إظهار الحق، لينتفع هو وينفع غيره.
أما أن يأتي بالأدلة من أجل أن يعلو على أخيه، ويكون قوله هو الأعلى،
فهذا خطأ عظيم



{فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ} آل عمران: ٢٠

إن النبي - صلى الله عليه وسلم - متبوع لا تابع؛ لقوله: { . . . وَمَنِ اتَّبَعَنِ }،
ويتفرع على ذلك أن الواجب على من تبين له الحق أن يأخذ به،
إذا كان يريد أن يكون من أتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم -،
أما من يلوي أعناق النصوص إلى قوله، فهذا ليس بمتبع حقيقة؛
لأن بعض الناس إذا قال قولاً، وجاء في النص القرآني أو النبوي ما يخالف قوله،
حاول أن يلوي عنق النص، ويحرف النص من أجل أن يكون موافقاً لقوله،
وهذا حرام؛ لأنك أنت تابع، ولست بمتبوع.



{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ ۗ إِنَّكَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} آل عمران: ٢٦

وقوله: {بِيَدِكَ الْخَيْرُ}:

{الْخَيْرُ}: بيد الله عز وجل، والخير كل ما فيه مصلحة ومنفعة للعبد، سواء كان ذلك في أمور الدنيا أو في أمور الآخرة. فالرزق والصحة والعلم خير، والعمل الصالح أيضاً خير. وهذا كله بيد الله، كما قال تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣]. وهنا قد يقال: لماذا ذكر أن الخير بيده، ولم يذكر الشر، مع أن الخير من الله والشر من الله؟! فقال بعض المفسرين: إن هذا من باب حذف المقابل المعلوم. كقوله: {وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ} [النحل: ٨١]. وزعموا أن تقدير الآية: بيده الخير والشر.

ولكن هذا وهم باطل، وليس المقام مقام حذف واقتصار، بل المقام مقام ثناء، والثناء ينبغي فيه البسط والتوسع في الكلام. فالحذف غير مناسب لفظاً، وهو باطل معنى؛ لأن الله لا يضاف إليه الشر،



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ ۗ إِنَّكَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} آل عمران: ٢٦

شَيْءٍ قَدِيرٌ} آل عمران: ٢٦

ولا يجوز أن نقول: بيده الشر؛

لأنه ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "والشر ليس إليك"

فلا ينسب إلى الله الشر قولاً ولا فعلاً.

فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ويفعل الخير ولا يفعل الشر،

وإذا وجد شر في المفعولات فهو شر من وجه، وخير من وجه آخر،

لكن إيجاد الله لهذه الأشياء الشريرة ليس شراً، بل هو خير محض.

والشر إنما هو في المفعولات لا في الأفعال.

أما الخير فهو في المفعولات والأفعال، ولهذا ينسب إلى الله فيقال: بيده الخير



{تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}

آل عمران: ٢٧

أي: تدخل الليل في النهار، وتدخل النهار في الليل، بمعنى: أن الليل يدخل على النهار، فيزيد الليل وينقص النهار. وقوله: {وتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}:

بالعكس؛ يدخل النهار على الليل، فيطول النهار ويقصر الليل، وهذا الفعل من الأفعال التي لا يقدر عليها إلا الله وحده. هو الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ومع هذا فإن هذا الإيلاج إيلاج بحكمة؛ بتدرج، يأتي قليلاً قليلاً حتى ينتهي ثم يعود، ولو أن الليل قفز من أقصر الليل إلى أطوله لاختل نظام العالم، وفسدت مواقيته، ولكن الله عز وجل يجعله بالتدرج ليعرف الناس أوقاتهم، وينبني أيضاً على هذا الإيلاج تغير الفصول؛ فإنه إذا طال النهار طال زمن وجود الشمس على سطح الأرض فاحترت الجو، وأيضاً يكون شعاع الشمس عمودياً فيكون أشد تأثيراً في الحرارة مما إذا كان غير عمودي، والعكس بالعكس بالنسبة للشتاء، فيتربط على هذا الإيلاج زمن الفصول.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}
آل عمران: ٢٧

ومن رحمة الله عزّ وجلّ أن هذا الزمن الفصلي لا يأتي أيضاً دفعة واحدة، ولو انتقل الناس من أحر يوم في السنة إلى أبرد يوم، لحصل ضرر عظيم، وبالعكس كذلك، لكن الربّ الرحيم عزّ وجلّ الحكيم يأتي بهذا الشيء بتدرج. فمن الذي يستطيع أن يزيد في الليل ساعة، أو في النهار ساعة، لا أحد يستطيع، لو اجتمعت كل الخلائق على أن يزيدوا ساعة في الليل أو ساعة في النهار، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.



{وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} آل عمران: ٢٧

واعلم أن رزق الله عزّ وجلّ نوعان: رزق به قوام البدن، ورزق به قوام القلب والروح. أما الأول: فيشمل المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، والمطيع والفاسق، حتى البهائم. ويدخل فيه الحرام؛ فالذي لا يأكل ولا يشرب إلا حراماً، فهو برزق من الله رزق، لكنه رزق يقوم به البدن. والثاني: ما يقوم به القلب والروح، وهذا خاص بأهل الإيمان والعلم. فالعلم والإيمان للقلب بمنزلة الماء للشجرة، لا يمكن أن تنمو بدونه. وكلمة {مَنْ تَشَاءُ} أي: من اقتضت حكمتك أن ترزقه. وأسباب الرزق كثيرة؛ إما حركة من الإنسان، وإما إمداد من الله. والحركة أيضاً لا تنفع إلا بإمداد من الله، لكن أحياناً يرزق الإنسان بدون كسب، وبدون عمل؛ مثل أن يموت له قريب فيرث منه.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{وَتَرَزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} آل عمران: ٢٧

جاءت النصوص بفضيلة العفة عمّا في أيدي الناس،
وكان من جملة ما بايع الصحابة رضي الله عنهم عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ألا يسألوا الناس شيئاً.
فكان سوط أحدهم يسقط من يده وهو على بعيه، فينزل إلى الأرض ليأخذه ولا يقول: ناولني إياه؛
لأنهم بايعوا على أن لا يسألوا الناس شيئاً
وهذا لا شك يجعل الإنسان يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى.
ولكن لا بأس أن يسأل الإنسان ما يباح له سؤاله،
إنما تمام العفة أن لا يسأل الناس شيئاً،
بل يجعل الأمر موكولاً إلى الله سبحانه وتعالى



{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} آل عمران ٣٠:

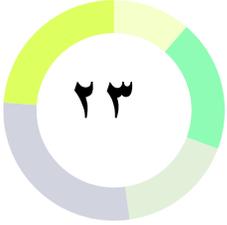
وقوله: {مُحْضَرًا} قد يتبادر للذهن أن هذا العمل يكون جسمًا، فيحضر كما تحضر الدراهم لمن يستوفئها، وإذا كان هذا مراد الله عزّ وجلّ، فليس بغريب أن تجعل الأعمال وهي أمر معنوي أجسامًا. وهذا هو ظاهر القرآن الكريم أن الأعمال توزن، والوزن لا يكون إلا لجسم كثيف، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، وليس هذا بغريب على قدرة الله سبحانه وتعالى. فها هو الموت -وهو زوال الحياة- يمثل يوم القيامة بكبش، ويوقف بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل النار، ويا أهل الجنة، فيطلعون فيقال لهم: تعرفون هذا؟ فيقال: هذا الموت، فيذبح ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت وحينئذ يزداد أهل الجنة سروراً إلى سرورهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم، والعياذ بالله.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة آل عمران

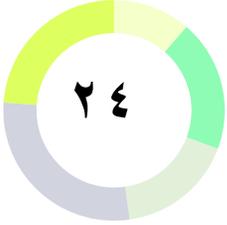
{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} آل عمران: ٣١

هذه الآية يسميها بعض السلف آية المحنة، يعني: آية الاختبار والامتحان؛ وذلك أن قوماً ادعوا أنهم يحبون الله، فأمر الله نبيه أن يتحداهم بهذا الميزان، وهو: إن كانوا صادقين فليتبعوا الرسول - صلى الله عليه وسلم -، سواء كانوا من اليهود أو من النصارى أو من المنافقين. المهم: أي واحد يدعي أنه يحب الله فهذا الميزان {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [المائدة: ١٨] ، إذا كانوا صادقين فليتبعوا الرسول. أما مجرد دعوى: فكل يدعي وصلاً لليلي ... وليلى لا تقر لهم بذلك



{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِن كَانَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ آل عمران: ٣٦}

إذا انتفت مساواة الذكر للأنثى انتفت مساواة الأنثى للذكر؛ لأن التساوي يكون بين شيئين، فإذا انتفت المساواة في أحدهما لزم أن تكون منتفية في الآخر. فلا مساواة بين الذكر والأنثى بل لكل واحد منهما ميزاته وخصائصه، فالأنثى تفوق الرجل في شيء، والرجل يفوق الأنثى في شيء. لكن الغالب أن الصالح لخدمة المساجد هو الرجل؛ لأنه أقوى وأذكى وأعقل وأدوم في العمل. والأنثى إذا حاضت مثلاً لا تستطيع أن تخدم المسجد؛ لأنها سوف تخرج منه ولا تجلس، هذا إذا كانت شريعتهم كشريعتنا، وأيضاً الأنثى لا تتحمل من الأعمال ما هو شاق بل هي أضعف من الرجل، وإن كانت قد يكون عندها من الجلد والصبر أكثر مما عند الرجل في معاناة الأشغال لا في معاناة المصائب، فإن المرأة في معاناة المصائب أدنى بكثير من الرجل كما هو معروف.



{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ^ط قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ^ط إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } آل عمران: ٣٨

التوسل إلى الله تعالى بأسمائه المناسبة للحاجة؛ لقوله: {إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ}، أي مجيبه، وهكذا ينبغي أن تكون الأسماء التي يتوسل بها الإنسان في دعائه مناسبة للمدعو به، فالداعي بالمغفرة يتوسل باسم الغفور وبالرحمة، والداعي بالرزق يتوسل باسم الرزاق وهكذا، ويدل لهذا أيضاً قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠]، وقوله: {فَادْعُوهُ بِهَا}، يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة؛ دعاء المسألة أن تجعلها وسيلة لدعائك، ودعاء العبادة أن تتعبد لله تعالى بمقتضاها، فإذا علمت أنه سبحانه (غفور) فتعرض لمغفرته، وإذا علمت أنه (رحيم) كذلك وهكذا



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}

آل عمران: ٣٩

إن الأنبياء من الصالحين بل هم في أعلى مراتب الصلاح، فإن مراتب الصلاح أربعة:

وهي النبوة، والصدقية، والشهادة، والصلاح،

هذا إذا ذكرت جميعاً صارت مراتب،

وإن لم تذكر جميعاً صار الصلاح عاماً؛

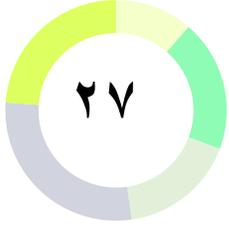
لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -:

"إذا قلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد سلمتم علي كل عبد صالح في السماء والأرض"



{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا} آل عمران: ٤١

الآية في اللغة: العلامة، وآيات الله عز وجل كونية وشرعية،
والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيدوا بالآيات الدالة على صدقهم،
الآيات الكونية والآيات الشرعية.
وكثير من الناس يسمي آيات الأنبياء معجزات، وهذه التسمية وإن اشتهرت على الألسن لكن فيها قصوراً،
والتعبير الصحيح السليم أن نسميها آيات كما سماها الله،
نسمي ما يحصل من خوارق العادات على أيدي الأنبياء؛ نسميها آيات،
ولهذا لا تجد آية في القرآن سمى الله فيها هذه الخوارق معجزات أبداً، بل كان يسميها آيات
والمعجزات لو أخذناها على ظاهرها لشملت ما يأتي به السحرة وما تأتي به الجن؛ لأن ما يأتي به السحرة أو الجن معجز



فوائد مستنبطة من تفسير سورة آل عمران

{ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } آل عمران: ٤٣

بيان أنه كلما منَّ الله سبحانه وتعالى على إنسان بشيء كانت مطالبته بالعبادة أكثر؛ لأن الملائكة لما قالت: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ}، أمرتها بالقنوت والسجود والركوع، فدلَّ هذا على أنه ينبغي للإنسان كلما ازدادت عليه نعم الله أن يزداد على ذلك شكراً بالقنوت لله والركوع والسجود وسائر العبادات.

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} آل عمران: ٤٨

قوله: {وَالْحِكْمَةَ} يعني الشريعة؛ لأن الشريعة من الله، وكل ما كان من الله فهو متضمن للحكمة،

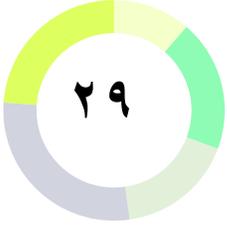
قال الله تعالى لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -:

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: ١١٣]،

فالحكمة: هي الشرع،

وهو موافق لمن فسر ذلك بالسنة؛ لأن سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - هي شرعه الذي جاء به من الله،

فعلمه الله عز وجل الحكمة



{ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} آل عمران: ٥٨

إن القرآن الكريم آية بل آيات كما قال الله تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت: ٤٩]، آيات عظيمة، فأياته كثيرة كل آية فيها عدة آيات، ولكن لا يفهم هذه الآيات إلا من فتح الله له قلبه بالإيمان والعمل، واعتقد أن هذا القرآن كلام الله وأن فيه آيات بينات، أما الذي تمر عليه مثل هذه الجملة من الآيات مرَّ الكرام، ولا يتحرك بها قلبه، ولا يتأمل هذه الآيات؛ فإنه لا ينتفع بما في القرآن من الآيات، لا بد أن تؤمن بأن فيه آيات وأن تحاول استخراج هذه الآيات بالتدبر، والإنسان إذا تدبر القرآن وجد فيه آيات عظيمة لا يحصيها البشر.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} آل عمران: ٥٨

للذكر ثلاثة معان:

- أ - ذكر يتقرب به إلى الله بتلاوته.
- ب - وذكر يتذكر به الإنسان.
- ج - وذكر يعني شرفاً لمن تمسك به.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة آل عمران

{ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } آل عمران: ٦٨

ينبغي للإنسان أن يحقق إيمانه ويكمله بقدر استطاعته،
من أجل أن ينال ولاية الله؛
لأن كل إنسان عاقل يسعى في الحقيقة إلي أن يكون الله له ولياً،
نقول: الأمر سهل .. حقق الإيمان يكون لك ولياً،
وكلما ازداد تحقيقك الإيمان ازدادت ولاية الله لك.
وإلا فكلنا يطلب ذلك



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} آل عمران: ٧٧

يوم القيامة هو يوم البعث، وسُمِّي يوم القيامة لأمر ثلاثة:

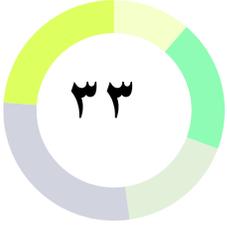
الأول: قيام الناس من قبورهم ..

والثاني: يوم يقوم الأشهاد،

والثالث: يقام فيه العدل.

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}

[الأنبياء: ٤٧]



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} آل عمران: ٧٧

العلماء ثلاثة أقسام:

عالم أمة، وعالم دولة، وعالم ملة،
فعالمة الملة لا يشتري بعهد الله ثمنًا قليلًا، بل يبين الملة ولا يبالي.
وعالم الدولة يشتري بآيات الله ثمنًا قليلًا ليكون له جاه عند الدولة، وربما ليعطى مالًا،
وعالم الأمة هو الذي يراعي الأمة، ينظر ماذا تشتتية الأمة "أي عامة الناس"
فبفتي به أو يقول به، وما لا تشتتية الأمة يسكت عنه، فإذا رأى الأمة على شيء غير سائغ في الشرع سكت عنه،
وإذا طلبوا منه شيئًا غير سائغ في الشرع ولكنه يرى أنه يرضيهم وافقهم عليه.



{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا} آل عمران: ٨٤

المتأمل في الخطاب الموجه للنبي - صلى الله عليه وسلم - يتبين له أنه على ثلاثة أقسام: قسم دلّ الدليل على أنه خاص به، وقسم دلّ الدليل على أنه له وللأمة، وقسم ليس فيه دليل. أما ما دلّ الدليل على أنه خاص به فهو له، يختص به، مثل قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا} [الإنسان: ٢٣]، وقوله: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح: ١]. وأما ما دلّ الدليل على العموم، فهو على العموم، مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ} [الطلاق: ١]، وما سوى ذلك فإنه يكون عاماً له وللأمة، لكن وجه الخطاب إليه باعتباره الإمام لأمة عليه الصلاة والسلام. والخطاب الموجه للإمام موجه له ولمن كان مؤتماً به



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} آل عمران: ٨٤

اعلم أن شريعتنا في الأحكام بالنسبة لمن سبق على ثلاثة أقسام:
القسم الأول: ما ردت شريعتنا بخلافه فهذا لا نعمل به؛ لأن شريعتنا ناسخة الأديان، مثال ذلك: القصاص في النفس والأطراف كان في التوراة واجباً مفروضاً، ولا عفو، لكن في الشريعة الإسلامية كان مخيراً فيه، فنتبع القرآن.
القسم الثاني: ما ورد شرعنا بوفاقه فإننا نعمل به اتباعاً لشريعتنا المصدقة لما سبق من الشرائع، ولا نخالفه، وهذا كثير، مثل الطيبات، أحل الله الطيبات لنا ولغيرنا، لكن حرم على بني إسرائيل بعض الطيبات بسبب ظلمهم.
القسم الثالث: ما لم يرد في شرعنا له وفاق ولا خلاف. هذا محل نزاع بين أهل العلم، وبحثه موجود في أصول الفقه، فمن العلماء من قال: إنه شرع لنا، ومنهم من قال: إنه ليس بشرع، والصحيح أنه شرع لنا، لدلالة شرعنا عليه. قال الله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اِقْتَدِهِ} [الأنعام: ٩٠].



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} آل عمران: ٨٤

إن هذا الدين الإسلامي ليس فيه عصبية،
ولا يجوز أن يتخذ الإسلام منه عصبية؛ لقوله: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ} ..
بخلاف ما يسلكه بنو إسرائيل حيث لا يؤمنون إلا بما جاء عن أنبيائهم فقط.
أما هذا الدين الإسلامي فـ {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ}،
كلهم عندنا رسل الله،
لكن نفرق في العبادات، لا نتعبد إلا بما أمرنا بالتعبد به



{كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} آل عمران: ٨٦

يجب أن تعلموا أن هداية الله وإضلاله لحكمة؛

فمن كان أهلاً للهداية هداه الله، ومن كان أهلاً للضلال أضله الله.

قال الله تعالى: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤]. وقال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: ٥]

والله عز وجل يعلم، إذا علم من المرء أنه لا يريد الهداية أضله الله.

وإذا علم أنه يريد الهداية، وأنه حريص عليها يطلبها أينما كانت، ويسلك ما دل عليه الدليل،

فإن الله تعالى يهديه ويعينه ويوفقه ويفتح بصيرته

حتى يرى الحق كأنما يتلقاه عن في رسول الله - صلى الله عليه وسلم



{كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} آل عمران: ٨٦

أن الله سبحانه وتعالى لم يدع الخلق هملاً، بل أقام لهم الحجج، وأقام البيّنات، حتى لا يكون للناس على الله حجة؛ لقوله: {وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} .

هذه البيّنات تنقسم إلى أقسام: شرعية، وعقلية، وحسية؛
أما السمعية: فهي القرآن،

وأما العقلية فهي أن كل عاقل يتدبر ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أنه حق،
فإنه ما أمر بشيء فقال العقل ليته لم يأمر به، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته لم ينه عنه.

وأما الحسية فظاهرة، انتصاراته العظيمة في هذه المدة الوجيزة،
وانتصار أصحابه حتى فتحوا مشارق الأرض ومغاربها مع أنهم كانوا أذلة مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس.
هذا من أكبر الأدلة على أنه رسول الله حقاً. إذن فالآيات شرعية وعقلية وحسية



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} آل عمران: ٩٤

لا إثم مع الجهل؛ لقوله: {مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ} أي من بعد أن يتبين الحق فهذا هو الظالم، أما من ارتكب محرماً قبل أن يتبين له الحق فإنه لا يلحقه إثم ذلك المحرم، لا في الواجبات ولا في المحرمات، من ارتكب شيئاً بغير علم فإنه لا إثم عليه، ما لم يفرط في الواجبات، ولا في المحرمات، ولكن بالنسبة للمحرمات لا يترتب عليه شيء من آثارها أبداً، لا إثم ولا كفارة.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} آل عمران: ٩٥

وجوب اتباع ملة إبراهيم، لكن في أصل الشرائع.
فإن قال قائل: ما الدليل على تقييدكم إياها بأصل الشرائع مع أن الآية عامة؟
قلنا: الدليل قوله تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا} [المائدة: ٤٨].
فدل ذلك على أن الشرائع تختلف بحسب حاجات الناس ومصالحهم،
أما أصلها وهو التوحيد فإن جميع الشرائع تتفق فيه:
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]



{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةٍ مُّبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} آل عمران: ٩٦

{لَلَّذِي بِبَكَّةٍ}:

وهو الكعبة، زاده الله تعالى تشریفاً وتعظيماً (وبكة) اسم من أسماء مكة، وسميت بذلك قالوا: لأنها تبكُ أعناق الجابرة أي تقطعها. وقيل: لأنه لا يوصل إليها إلا بمشقة وتعب. وقيل غير ذلك.

والمهم أن المراد ببكة مكة. وقد ذكرها الله تعالى في هذه السورة بهذا الاسم، وذكرها في سورة الفتح باسم مكة في قوله: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ} [الفتح: ٢٤] فمكة إذن لها اسمان مذكوران في القرآن

وأما القرية فهي اسم جامع لمكة وغيرها، كما قال تعالى: {وَكَايِنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ} [محمد: ١٣]



{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} آل عمران: ٩٦

الرد على بني إسرائيل وهو أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - بعث من البلد الذي فيه أول مسجد وضع للناس، وأنبياء بني إسرائيل بعثوا في بيت المقدس. فيكون في هذا رد على اليهود الذين يقدسون بيت المقدس، وكذلك النصارى الذين يقدسونه، فقل لهم: إن الكعبة التي بعث منها الرسول - صلى الله عليه وسلم - أفضل من بيت المقدس.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة آل عمران

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} آل عمران: ٩٩

سمي الدين سبيلاً لله لأنه موصل إليه، وأضيف إلى الله لوجهين:
الوجه الأول: أن الله هو الذي وضعه سبيلاً للخلق يمشون عليه.
الوجه الثاني: أنه موصل إلى الله،
فمن سلك السبيل الذي وضعه الله للعباد فسيصل إلى الله عز وجل.
فالمراد بسبيل الله دينه؛ لأنه الطريق الموصل إليه.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} آل عمران: ٩٩

العوج عن شريعة الله يشمل معنيين: المعنى الأول: في الأوامر، والثاني: في النواهي.
أما في الأوامر فاعوجاجها إما بالتهاون بها والتفريط، وإما بالإفراط فيها والغلو،
فالناس بالنسبة لأوامر الله ثلاثة أقسام:
قسم وسط، وقسم مُفْرِط، وقسم مُفْرِطٌ، يعني غال متجاوز للحد.
فالوسط هو المستقيم. والمفراط عوج، والزائد عوج أيضاً. هذا في الأوامر.
أما في النواهي فالعوج هو انتهاكها وارتكابها، هذا عوج؛
لأن الصراط المستقيم في النواهي أن تدعها، وأن تتجاوزها.
فإذا أنت فعلتها وانتهكتها فهذا هو العوج



فوائد مستنبطة من تفسير سورة آل عمران

{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ^ط وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} آل عمران: ١٠١

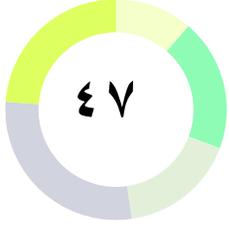
أن كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، والإقبال عليهما أعظم مانع يمنع من الكفر؛
يؤخذ من قوله: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ} يعني بعيد منكم الكفر إذا كانت تُتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله،
آيات الله تُتلى علينا الآن، ورسوله ليس فينا ولكن فينا سنته،
فنأخذ من هذا أنه كلما تمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله، فإن ذلك سيكون حصناً منيعاً دون الكفر.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة آل عمران

{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ^ط وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} آل عمران: ١٠١

الاعتصام بالله الاعتماد عليه، والتوكل عليه، والاستعانة به،
والاعتصام بحبله أي بشرعه.
فحبل الله هو شرعه.
وسمي شرعه حبلًا لأنه موصل إليه،
والحبل كما تعلمون يوصل إلى المقصود.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} آل عمران: ١٠٤

ليعلم أن مسألة الإقناع غير مسألة العلم،
بعض الناس يكون عنده علم لكن لا يستطيع أن يقنع غيره،
ليس عنده قوة حجة وبيان،
وبعض الناس يكون أقل علماً منه لكن عنده قوة إقناع،
فلا بد أن تتمرن على قوة الإقناع ولو بضرب الأمثال؛ لأن ضرب الأمثال يقرب



{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} آل عمران: ١٠٦

قال: {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}:

(العذاب) أي البدني والنفسي، أي مسّه،
والذوق هنا ليس ذوقاً باللسان بل هو ذوق بالبدن كله؛
لأن الذوق قد يكون باللسان،
وقد يكون بالقلب، وقد يكون بالبدن،
فقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً"
المراد به ذوق القلب لا ذوق اللسان



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ} آل عمران: ١١٩

التحذير ممن يبدي أنه ناصح لك وقلبه كاره لك؛
لأن المقصود من هذا قوله: {هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ} إلى آخر التحذير من هؤلاء،
فلا تغتر بمن ظاهر حاله النصح بل قس الأمور بالأفعال؛
لأن الأفعال هي التي تبين حقيقة الأمر،
فكم من إنسان يقول لك قولاً وهو على خلاف ما يقول لك
ولكن الأفعال هي التي تبي



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

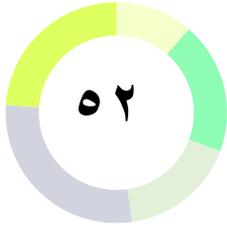
{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} آل عمران: ١٣٣

فيها الأمر بالمسارعة إلى المغفرة والرحمة والجنة. وهل الأمر للوجوب؟ نقول: أما فيما يجب فواجب، وأما فيما لا يجب فليس بواجب، ولكن الإنسان يؤمر بأن يسارع، وفيه دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يؤثر غيره بالقربات؛ لأنه إذا أثر غيره بالقربات فهذا يعني التأخر، ومن أمثلة ذلك أن يؤثر غيره بمكانه الفاضل في الصف بأن يتأخر عن مكانه في الصف الأول لرجل آخر، فإن هذا خلاف المسارعة إلى الخيرات. ولكن إذا ترتب على إثارة غيره بهذا المكان مصلحة أكبر من مصلحة التقدم لم يكن إثارة من باب التأخر عن الخيرات؛ لأنه تنازل عن فضيلة إلى فضيلة أعلى، فلا يكون هذا إثارة في الحقيقة، ولا يدل على هذا زهد الإنسان في فعل الخير، بل هو انتقال من خير إلى ما هو خير منه.



{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} آل عمران: ١٣٥

أن المتقي لا يكون معصوماً من فعل الفاحشة أو ظلم النفس؛
لأن الله لم يقل: وهم لا يفعلون الفواحش أو لا يظلمون أنفسهم، بل قال: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ}
ف فعل الفاحشة لا يחדش التقوى إذا استغفر الإنسان وتاب،
وقد جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"
وصح عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام: "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم".
إذن ليس الشأن في أن لا يفعل الإنسان المعصية،
كل إنسان لابد أن يعصي، لكن الشأن في أنه إذا فعل المعصية رجع إلى الله



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ
وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} آل عمران: ١٣٥

سرعة انتباه هؤلاء عند فعل الذنوب؛ لقوله: {إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ} فيبادرون بالتوبة، والمبادرة بالتوبة من صفات المتقين وهل هي واجبة؟
الجواب: نعم، تجب المبادرة بالتوبة؛ لأن التوبة إذا نزل الأجل لا تقبل،
والإنسان لا يدري متى ينزل أجله،
وعلى هذا فيجب أن يتوب الإنسان من ذنوبه فوراً بدون تأخير.



{ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } آل عمران: ١٣٨

أن من لم يتعظ بالقرآن فليتهم نفسه؛
لقوله تعالى: {وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} فإذا لم تتعظ بالقرآن فاتهم نفسك، فإن فيك بلاء،
كما أن من لم تنهه صلّاته عن الفحشاء والمنكر فليتهم نفسه، فإن صلّاته قاصرة؛
لأن الذي أخبر بأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر هو الله عزّ وجل، وخبره صدق مطابق للواقع،
فإذا علم الإنسان من واقع نفسه أن صلّاته لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر فليتهم نفسه؛ لأن خبر الله لا يتهم،
ولهذا قال بعض السلف من لم تنهه صلّاته عن الفحشاء والمنكر فإنها لا تزيده من الله إلا بعداً
-نسأل الله العافية ونسأل الله أن يعيننا-
فإذا لم تتعظ فاتهم نفسك بأنك غير متقٍ؛ لأن المتقي لا بد أن يتعظ بالقرآن



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ الَّذِيْنَ أَمَّنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} آل عمران: ١٤٠

إن الله سبحانه وتعالى جعل هذه الدنيا دولاً تتقلب لئلا يركن الإنسان إليها؛ لأن الدنيا لو كانت دائماً راحة ونعمة ركن الإنسان إليها ونسي الآخرة، ولو كانت دائماً محنة ونقمة لكانت عذاباً مستمراً، ولكن الله جعلها دولاً يداول فيها الناس بعضهم على بعض، وتداول الأحداث على الإنسان ما بين خير وشر.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة آل عمران

{وَلِيْمَحِّصَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِيْنَ} آل عمران: ١٤١

إن الله سبحانه وتعالى قد يبتلي المؤمن من أجل تمحيصه، وقد ذكرنا أن التمحيص من وجهين:

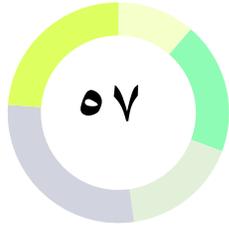
الوجه الأول: بيان من إيمانه صادق يصبر على الضراء، ومن إيمانه مهتز لا يصبر.

الوجه الثاني: أن هذه المصائب فيها تمحيص للمؤمنين بتكفير السيئات.



{وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} آل عمران: ١٤٤

{وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} أي: سيكافئهم، والشاكرون هم الذين قاموا بشكر نعمة الله، وأن الشكر هو القيام بطاعة المنعم بالقلب واللسان والجوارح؛ فالاعتراف بالقلب أن النعم من الله شكر، والثناء على الله بها باللسان شكر، والقيام بالطاعة بما يناسب تلك النعمة شكر، فشكر العلم مثلاً العمل به ونشره، وشكر المال صرفه في طاعة الله، وشكر القوة البدنية استعمال البدن في طاعة الله، وهلم جرا. واعلم أن بين الشكر والحمد عموماً وخصوصاً من وجهين أي أن أحدهما أعم من الآخر من وجه، فباعتبار أن الحمد يكون لكمال المحمود ولإنعام المحمود يكون أعم من الشكر، وباعتبار أن الحمد يكون باللسان يكون أخص من الشكر، والشكر باعتبار كونه متعلقاً بالقلب واللسان والجوارح أعم من الحمد، وباعتبار أنه في مقابلة نعمة أخص من الحمد.



{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا} آل عمران: ١٤٥

وقوله: {أَنْ تَمُوتَ} الموت هو مفارقة الحياة، ويحصل هذا بانفصال الروح عن الجسد انفصالاً تاماً، وذلك لأن الروح تتصل بالبدن اتصالاً تاماً، وتتفصل منه انفصالاً ناقصاً، وتتفصل منه انفصالاً تاماً؛ فإذا كان الإنسان يقظاً فالاتصال تام، وإذا كان نائماً فهو انفصال ناقص، وإذا مات الإنسان فهو انفصال تام، لكن هذا لا يمنع أن تعود إليه في قبره عوداً ليس على الوجه الذي عليه في الدنيا؛ لأن حياة البرزخ تخالف حياة الدنيا، فالإنسان في قبره تعاد إليه روحه ويجلس ويخاطب ويتكلم ويفهم، ولكن ليست هذه الحياة كحياة الدنيا؛ لأنها لو كانت كحياة الدنيا لهلك فوراً؛ لأنه مغمور بالتراب الذي فوقه، وربما يكون غرقاً في ماء أو محترقاً في نار.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} آل عمران: ١٤٥

إثبات الجزاء على العمل، وهذا أعني الجزاء على العمل دائر بين أمرين،
بين عدل وفضل، ويمتدح الأمر الثالث وهو الظلم بالنسبة لله عز وجل،
والذين يجازون العمال على أعمالهم ينقسمون في جزائهم إلى ثلاثة أقسام: عدل وفضل وظلم.

ولهذا نجد أن منهم مَنْ يظلم عماله، ومنهم من يعطيهم حقهم كاملاً، ومنهم من يزيد،
أما بالنسبة لجزاء الله تعالى فإن الظلم ممتدح عن الله،
لا عجزاً عنه ولكن لكمال عدله سبحانه وتعالى: {وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}.



{قَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} آل عمران: ١٤٨

وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ، ولم يقل: ثواب الآخرة، بل قال: حسن؛ لأن ثواب الآخرة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وليس ثواب مكافأة فقط، إذ لو كان ثواب مكافأة فقط لكان الحسنة بمثلها، لكنه ثواب حسن وفضل، ولهذا قال: {وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ} هذا وجه، والوجه الثاني أنه لم يعبر عن ثواب الدنيا بالحسن؛ لأن الدنيا مهما كانت فهي دار شقاء وعناء وكدر، لا يمكن أن يخلو صفوها من كدر، ولهذا لم يقل: حسن ثواب الدنيا، إذ إنه في الحقيقة ليس له حسن، وهو إن كان حسناً فهو حسن نسبي وإلاً ففيه حسن لا شك {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً} [البقرة: ٢٠١] لكنه أمر نسبي حتى المنعمون بالنعمة تجدهم أحياناً يأتيهم ما ينقص عليهم هذه النعمة.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{قَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} آل عمران: ١٤٨

إن رحمة الله تعالى سبقت غضبه؛ فهو يثيب الطائع بثوابين: ثواب في الدنيا وثواب في الآخرة، بخلاف العقوبة: فإن الله تعالى لا يجمع بين عقوبتين، فإذا شرع عقوبة في الدنيا على ذنب فإنه لا يعاقب به في الآخرة، كما جاء في الحديث: "إن الحدود كفارة" الحدود يعني العقوبات كحد الزنا والسرقة إنها كفارة لأصحابها، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - للمتلاعنين: "عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة" بل إن الله تعالى قال: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠]، فلن يجمع الله للإنسان عقوبتين على معصية، عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة، لكن يجمع بين ثوابين في الطاعة ثواباً في الدنيا وثواباً في الآخرة؛ لأن رحمة الله سبقت غضبه.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة آل عمران

{حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ} آل عمران: ١٥٢

المعصية بعد النعمة أشد من المعصية قبل النعمة؛

لقوله: {وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ}

وإلا لكان يقول: {وَعَصَيْتُم} فقط،

لكن كون المعصية تقع بعد أن أراهم الله ما يحبون هذه أعظم،

أعظم مما إذا لم يكن الله قد أراهم ما يحبون



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} آل عمران: ١٥٥

إثبات أن للشيطان تأثيراً على العبد حتى في عمله الصالح وحتى في الجهاد؛
لقوله: {إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ}،

ولكن بماذا تحصل العصمة من هذا الشيطان؟
تحصل العصمة بما ذكره الله عز وجل في قوله: {وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} [الأعراف: ٢٠٠]،
هذه العصمة كلما أحسست بشيء في داخلك ينهاك عن معروف ويأمرك بمنكر
فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ
أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكُ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ } آل عمران: ١٥٦

هذا الدين رحمة؛ لأن نهي الله عن الندم على ما مضى مصلحة للإنسان،
لأنه يطمئن قلبه ولا يتحسر ولا يحزن، فإنه يقول لنفسه: هذا الأمر لا بد أن يقع كما وقع،
فلا حاجة لأن تقول: لو أني فعلت لما حصل؛
إنما تقول: لو أني فعلت في أمر تكون فرطت فيه،
أما شيء لم يكن بتفريطك فهذا لا يحل لك أن تتدم عليه.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} آل عمران: ١٥٩

الإنسان قد يعذر في الابتعاد عن أهل الخير إذا كانوا جفاة غلاظ القلوب؛
لقوله تعالى: {لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} ويعني بهم الصحابة رضوان الله عليهم،
ويعني بالمنفض عنه، الرسول عليه الصلاة والسلام،
فإذا كان الصحابة لا يلامون على الانفضاض عن الرسول إذا كان فظًّا غليظًا فما بالك بمنّ دونه بمراحل،
فلهذا إذا كان الإنسان فظًّا غليظًا ولم ير الناس حوله
فلا يلومن إلا نفسه



فوائد مستتبطة من تفسير سورة آل عمران

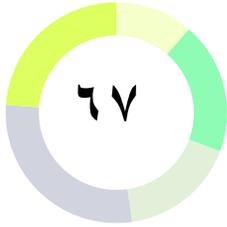
{فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} آل عمران: ١٥٩

ينبغي للإنسان أن يعفو عن حقّه في معاملة إخوانه؛ لقوله: {فَاعْفُ عَنْهُمْ} ولكن هذه الآية مقيدة بما إذا كان العفو إصلاحاً، قيدها قوله تعالى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى: ٤٠]، أما إذا كان في العفو زيادة إفساد وطغيان فإن هذه مصلحة تضمنت مفسدة أعظم، مثل: لو كان الجاني معروفاً بالشر والفساد فهل الأولى أن نعفو عنه أو أن نؤاخذه بالذنب؟ الأولى أن نؤاخذه بالذنب



{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} آل عمران: ١٥٩

أن الحسب هو الله وحده ولا أحد معه؛ لقوله: {حَسْبُنَا اللَّهُ} ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، بل قالوا: حسبنا الله وحده، فالله وحده هو الحسب كما أنه وحده المتوكل عليه، وبهذا نعرف أن قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ٦٤] أن (مَنْ) في قوله: {وَمَنِ اتَّبَعَكَ} معطوفة على الكاف في قوله "حسبك" وليست معطوفة على لفظ الجلالة {حَسْبُكَ اللَّهُ}، لأنها لو عطفت على لفظ الجلالة لكان المعنى أن الله حسبك ومن اتبعك من المؤمنين حسبك، وليس الأمر كذلك وإنما حسبه وحسب من اتبعه هو الله عز وجل



{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران: ١٧٣

ينبغي على الإنسان إذا عزم على الأمر ألا يتردد؛ لأن التردد يُحير الإنسان ويوقعه في القلق، ولهذا قال الشاعر:
إذا كنتَ ذا رأيٍ فكن ذا عزيمةٍ ... فإن فساد الرأي أن تتردداً

وكثير من الناس يرى المصلحة في شيء ويعزم عليه ثم يتردد فيكون مذبذباً، أحياناً كذا وأحياناً كذا،
ويؤثر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كلمة نافعة جداً،
وهي قوله: (من بورك له في شيء فليلزمه). . كلمة عجيبة لو توزن بالذهب لوزنته.
(من بورك له في شيء فليلزمه) يعني إذا عمل الإنسان عملاً ورأى فيه البركة والثمرة فليلزمه

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} آل عمران: ١٧٨

أن الله عز وجل بحكمته قد يستدرج بعض الخلق، فيعطيه النعم تترأ وهو متجاوز لحدوده؛

ليبلغ في الطغيان غايته حتى إذا أخذه لم يفلته

كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" وتلا قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢].

فإن قال قائل: هل تقيسون العاصي على الكافر بمعنى أنه قد يمهل له وهو مقيم على المعصية؟

الجواب: نعم، قد نقول بالقياس بجامع أن كل واحد منهما أمهله الله ولم يعاقبه،

وقد نقول بعدم القياس؛ وذلك لأن الكفر أعظم من الفسوق،

ولكن من رجع إلى ظاهر القرآن تبين له أنه حتى الفاسق ربما يمهل في قوله تعالى:

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف: ٩٦]

{ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ } آل عمران: ١٨٨

التحذير من محبة الإنسان أن يُحمد بما لم يفعل، وهذا يقع كثيراً،
 أحياناً يصرح الإنسان بأنه عمل عملاً وهو كاذب، وأحياناً يورّي فيظن السامع أنه فاعل وهو لم يفعل،
 أما الأول كأن يقول مثلاً: صليت البارحة آخر الليل ودعوت الله وهو كاذب، لكن من أجل أن يُحمد على ذلك،
 أو يقول: رأيت فقيراً فتصدقت عليه، أو يقول: طبعت كتاباً، أو أنقذت غريقاً، أو ما أشبه ذلك وهو كاذب،
 هذا قسم صرّح بما لم يفعل، وأحياناً يورّي فيتظاهر أمام الناس أنه فعل وهو لم يفعل،
 فالذي يسمع كلامه يقول: هذا هو الفاعل وهو لم يفعل. وكلاهما مذموم،
 أما من أحب أن يُحمد بما لم يفعل ولكنه لم يتظاهر أمام الناس بالشيء ليُحمد عليه فهذا لا يضر؛
 لأن كل واحد يجب أن يُحمد وإن لم يفعل،
 ولكن إذا حُمد على فعل وهو متظاهر للناس بأنه فعل فهذا مذموم.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة آل عمران

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } آل عمران: ٢٠٠

الصبر: حبس النفس مع غير مصابر، وتكون على ما لا يلائم الإنسان وما يشق عليه.
والمصابرة: مع شخص مضاد يصابرك ويصبر عليك على معاندتك وعلى مضادتك فأنت تصبر،
وقد قال الله عز وجل: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: ٤٣]

انتهى بحمد الله وفضله جمع بعض فوائد التفسير
والخاص بسورة
(آل عمران)

والمنتقاة من كتاب تفسير القرآن الكريم للشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين

نسأل الله تعالى أن يجعلها
نافعة لعباده مقربة لمرضاته
إنه وليّ ذلك والقادر عليه

تويتر
[@fwayidd1](https://twitter.com/fwayidd1)

